مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مجلة مجمع اللغة العربية الأردني

العدد ٧٣ — جمادى الآخرة — ذو الحجة ١٤٢٨ هـ

السنة الحادية والثلاثون — تموز — كانون الأول ٢٠٠٧

العدد بين الحساب واللغة

د. محمد سمير نجيب اللبدي
جامعة الإسراء الخاصة

المقدمة:

العدد في مفهومه الظاهري والحقيقي هو ما دل على الكميات والمقادير، سواء أكان جوابا عن سؤال صريح أو مقدر أو كان إخبارا عن استكثار، وليس له في اللغات في ما نعلم أية دراسات لغوية خاصة تغطي صياغته وبيان إعرابه وأصول استخدامه وطبيعة علاقته بالمعدود من حيث التذكير والتأنيث أو الإفراد والتثنية والجمع كما هو شأنه في لغتنا العربية التي خصت كل مفرداته بقواعد ثابتة تبين كل جوانب الاستعمال المتعلقة به.

فالعدد في اللغة العربية فئات مختلفة، تتباين في علاقاتها مع معدوداتها تقديما أو تأخيرا وتذكيرا أو تأنيثا أو مطابقة أو مخالفة، بالإضافة إلى مواقع إعرابه رفعا أو نصبا أو جرا، ومواقع المعدود فيه من حيث الوصف أو التأكيد أو النصب على التمييز أو الجر بالإضافة.

لذلك نراه قد خص بنصيب وافر من الحديث عنه في ألفية ابن مالك، كما أن مراجع النحو ومصنفاته قد خصته بمساحة جيدة من البحث والشرح والتفصيل وصياغة المتون حوله وتحشيتها.

فللأعداد في لغتنا أصولها الاشتقاقية، ولها مدلولاتها الكثيرة، كما أن لها أصولا صياغية يجب أن تراعى في التعبير عنها، وأصولا صوتية يجب أن تلاحظ كذلك، فلا يجوز رفعها أو رفع معدوداتها في موضع النصب، كما لا

يجـوز جـرها في موضع الجر، ولا إعرابها في موضع البناء، ولا بناؤها في موضع الإعراب، ولا تذكيرها في موضع التأنيث أو تأنيثها في موضع التذكير.

لكـل ذلك فلسفته التي انطلق منها أو بنى عليها؛ إذ لم ينشأ سمت معين فـي صياغة الأعداد من فراغ، وإنما قام على أصول وتعليلات تستحق التبجيل لمن جهدوا في تحليلها واجتهدوا في وضعها كما سنذكر في متن البحث.

من هنا، رأينا أن نبحث في العدد ليس فقط كرمز حسابي مقداري وإنما كـصياغة لغـوية لهـا أصـولها وقواعدها مغايرين في ذلك ما أمكن الطريقة المعهـودة التـي عرضته بها كتب النحو ومؤلفاته متوخين في بحثنا التعرض لعلاقة العدد بشكل عام باللغة من كل جوانبها، بالإضافة إلى دلالته المقدارية في أصل وضعه ومفهومه، وهو ما نأمل أن نكون قد وفقنا في عرضه وكشفه.

العدد بين الحساب واللغة

يشغل العدد في حياتنا مساحة كبيرة، حتى إذا ما بحثنا عنه في كل المرافق والجوانب وجدناه حاضرا في الأموال والأزمنة والأمكنة، ولا يكاد حديث من أحاديثنا يخلو من ذكرٍ للأعداد بكل مستوياتها. فإذا تناولنا الزمن وجدناه في الأيام والأسابيع والشهور والسنوات والأعمار والأجيال والقرون والتاريخ والمعارك والغزوات والحروب والأحداث.

وإذا تناولنا المكان وجدناه في جغرافية الحدود وأطوالها ومساحاتها، وما زاد فيها وما نقص، ناهيك عن الأموال والأرزاق ومقاديرها وأرباحها ودخولها وخساراتها ومدفوعاتها وعجوزاتها.

نجد العدد في كل هذه الجوانب وغيرها حاضرا قائما لا يخلو منه حديث أو مقال أو محاضرة أو بحث أو تقرير.

وقد تتخذ الأعداد في كلامنا أشكالا مختلفة، فهي حينا أعلام على الكميات والمقادير، وهي في أحيان أخرى دلالات على التقسيم والترتيب والتبويب والقياس، وهي كذلك كنايات عن المبالغة في الكثرة أو القلة.

وفي كتابتها تكون حينا بشكل الرموز الاصطلاحية المعروفة في اللغات، وحينا بشكل الحروف الهجائية، كما أنها تصنف إلى خانات ومنازل تحفظ لها كمياتها المقدارية نزولا أو صعودا.

وما من شك في أن الأعداد بكل مقاديرها تنتمي إلى كل العلوم الإنسانية، وبخاصة علم الرياضيات بعامة والحساب بخاصة، فهو الأساس بالنسبة لها، وبقية العلوم كما أشرنا آنفا لا تخلو منها ولا غناء لها عنها، فهي وسيلة التقسيم والجدولة، وهي دائما محتوى النتائج الإحصائية لكل المتعددات،

ولهـذا يقـرر النقاد والأدباء أن خلو الكلام الأدبي من الأعداد هو خاصية من خصائص هذا الأسلوب.

وإذا كـان العـدد في حقيقته العلمية الرياضية مجرد علَمٍ على كمية أو تـرتيب، فإنـه أيـضا بحث عقلي تجريدي تنبثق منه رياضيات ذهنية مختلفة، تكتسب أحيانا أبعادا فرعية إضافية فضلا عن أبعاده العلمية البحتة.

والعدد بمفهومه الكمي جانب عالمي إنساني، يعد كما قلنا عنصرا رئيسا فـي كـل جـوانب العلم وفروعه، وهو بهذا المفهوم لا يفيدنا في بحثنا هذا إلا بمقدار ما يتصل منه بالجانب اللغوي الذي سنتطرق إليه.

وفـي تأكيدنا أن بحث العدد من الناحية اللغوية لم يطرق كأسلوب، ولم يُتـناول كتـركيب لغوي يخضع لقواعد ثابتة، وأسس صوتية لغوية محددة كما طـرق فـي اللغة العربية التي اتخذت منه عنوانا لبحثٍ نحوي أسلوبي واسع، خـضع لاسـتقراءٍ منطقـي ولفلسفةٍ تعليلية دقيقةٍ طريفة. فالعدد في لغتنا بحث تكوينـي، وليس بحثا حسابيا كميا فقط، فهو في نحونا أسلوب استخدامي مستقرأ من كلام العرب والقرآن الكريم وشواهد العصور المعتمدة.

حديثنا إذن في هذا البحث: سيدور حول العدد من الجانب اللغوي وليس الجانـب الحـسابي، أي: أنـنا سنتناول هذا الموضوع من حيث العدد اللغوي كأسلوب تركيبي له قواعده وأصوله التي يجب أن تتبع عند بنائه حتى تتوافر له سلامة الاستخدام وصحة التعبير.

وابتداء وقبل أن نتعرف إلى العدد من الناحية اللغوية، وما إذا كان هناك علاقـة بـين هذا الجانب والجانب الكمي الحسابي أم أنهما متداخلان يجب أن نتعرف إلى لَفْظي العدد والرقم، وهل هما مترادفان أم مختلفان ؟

بين العدد والرقم:

يستخدم الناس لفظ الرقم مرادفا للعدد، بمعنى أن الرقم هو العدد والعدد هو الرقم، في حين أن نصوص المعجمات لا تحتمل ذلك ولا تفيده، فكلمة رقم تدور حول معان متعددة ليس منها العدد، فمن ذلك: الكتابة، يقال: رقمت الكتاب أي كتبته، والتوشية، يقال: رقم الثوب وشاه.

كما يقال: التاجر يرقُم الثياب أي: يعلمها، ويقال رَقَمَ الكتاب، بيّن حروفه ونقّطه، ورَقْمُ الكتاب وترقيمه وتبيينه[١]، والرقْم الكتابة والختم[٢] وهو ضرب من البرود، وضرب مخطط من الوشي.[٣]

ومن المجاز قولهم: هو يرقم في الماء: وهذا مَثَلٌ يضرب للذي يعمل ما لا يعمله أحد لحذقه[٤]، أو لمن يعمل عملا لا طائل تحته[٥] والرقيم في قوله تعالى: "**أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم**"[٦] اسم الكلب الذي كان مع أهل الكهف، أو اسم الوادي الذي كانوا فيه، وقيل أيضا إنه لوح رُقم أي: كتب فيه حديثهم، وجُعل على باب الكهف.[٧]

وهكذا وبتتبع هذه المادة في معجمات اللغة التراثية لم أقع فيها على ما يفيد أن الرقم هو العدد، ويبدو أنه استخدام حديث قد شاع على ألسنة الكتاب والمتكلمين، حتى أصبح في الاستعمال مرادفا للعدد، ويعزز هذا القول ما ورد في المعجمات الحديثة، حيث جاء في أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد[٨]. أن هذا الاستخدام خاص بالحاسبيين الذين يطلقونه على الأعداد من ١-١٠ ويتناول الصفر أيضا، ويقال لها الأرقام الهندية.

---

(١) أساس البلاغة الزمخشري مادة (رقم) ص١٧٤ ط١ دار المعرفة، بيروت، لبنان.

(٢) اللسان ابن منظور مجلد ١٢ ص٢٤٩ مادة رقم

(٣) اللسان ابن منظور باب الميم فصل الراء مجلد ١٢ ص٢٤٩.

(٤) أساس البلاغة الزمخشري مادة رقم ص١٧٤.

(٥) المعجم الأساسي جماعة من اللغويين مادة رقم ص٥٤٣.

(٦) سورة الكهف الآية ٨.

(٧) تفسير القرآن الكريم، مختصر تفسير القاسمي – اختصار الشيخ صلاح أرقه دان – دار النفائس.

(٨) الشرتوني، سعيد الشرتوني، أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد، ج٣، ص٤٢٥.

وقـيل في جملة ما قيل إن الرقم رمز يستعمل للتعبير عن العدد[1]، وإن الرقم لفظ مَجْمعي، وأنه في علم الحساب رمز مستعمل للتعبير عن أحد الأعداد البـسيطة، وهـي الأعداد التسعة الأولى والصفر[2]. وهو كلام يشعر بأن الرقم مجـرد رمـز للعـدد وليس العدد نفسه، بدليل قَصْره على الأعداد الأولية دون تغطية الأعداد كلها.

وفـي رأينا إذا ما أردنا التوفيق بين اللفظين أن نقول إن العدد لا يكون رقمـا إلا إذا كان مكتوبا، حيث يقال الرقم المرقوم كما يقال العدد المرقوم، أو المـبلغ المرقوم، ولا يقال العدد المعدود، فالأرقام هي علامات الترقيم من نقطة وفاصـلة وتعجـب، توضـع أثناء الكلام أو في آخره، ولا تكون أعدادا مفيدة للكمـيات إلا في حالة كتابتها، لتكون بذلك أعدادا مرقومة، وأما في حالة لفظها، فهي كما نرجح أعداد وليست غير، فكل رقم ليس بالضرورة أن يكون عددا كما أن كل عدد ليس بالضرورة أن يكون رقما ما لم يكتب.

ويقوي هذا في رأينا أن العرب لم يكونوا يستعملون الرموز العددية في التعبيـر عن الكميات، سواء أكانت رموزا هندية نحو ١، ٢، ٣ أو عربية نحو 1, 2, 3، بـل كانوا يلفظون العدد أو يكتبونه ويَرقـمونه بالحروف، سواء في رسـائلهم أو تاريخ أحداثهم ورصد وقائعهم وتسجيل مقاديرهم وكمياتهم، ولعل هـذا مـا أدى إلـى الخلط بين لفظي العدد والرقم، واستعمال كل منهما مرادفا للآخـر. ومع ذلك فإن هذا الاستنتاج لا يعني في رأينا بالضرورة مصادرة لفظ الرقم في معنى العدد، فاللغة تنمو وتتطور، ولا يضيرها أن يرادف لفظ آخر ذاع وشـاع كمـا هو الشأن في الرقم والعدد، فنحن في كل الأحوال مع نمو اللغة،

---

(١) المعجم الأساسي جماعة من اللغويين مادة رقم ص٥٤٤.

(٢) المعجم الوسيط د. إبراهيم أنيس وآخرون ج١ ط٢ مادة (رقم) ص٣٦٦.

وليس مع تجميدها وحصرها في لغة المعجمات ومفرداتها، وما قلناه هو للتحقيق والتوثيق وليس غير.

العدد في اللغة:

العـــدد مصدر الفعل "عد"، ويجمع على أعداد، والعدد هو مقدار ما يعد، والعـــد هـــو الإحـــصاء[١]، أي: تعقـــب المعـــدود وإعطاؤه لفظا يصبح بالتالي عَـــلَـــمًـــا عليه يدل على مقداره وكميته أو ترتيبه.

ومما يجدر التنويه به في هذا المقام أن العدد الحسابي لم يكن ببعيد عن الحديث عنه في مراجع اللغة ومعجماتها ومصنفات نحوها، فقد ورد في تعريف العـــدد بعامة أنه ما ساوى نصف حاشيتيه الصغرى والكبرى[٢] بمعنى أن لكل عدد حاشية كبرى وهي العدد الذي يسبقه، وصغرى وهي العدد الذي يلحقه فإذا جمعت الحاشيتان كان العدد نصف هذا المجموع، فالعدد – ٦ – مثلا هو نصف مجموع السبعة والخمسة.

وجـــاء في بعض مراجع اللغة المعجمية النوعية، كمعجم الكليات لأبي البقاء الكفوي أن العدد هو الكمية المتألفة من الوحدات[٣]، وقد يطلق على كل ما يقع في مراتب العد[٤].

---

(١) المعجم العربي الأساسي جماعة من اللغويين (لاروس) مادة عدد ص٨٢٤.

(٢) الـــصبان، محمـــد بن علي الصبان، الحاشية على الأشموني،ج٤، ص٦١ الحلبي + الكفوي/ أبو الـــبقاء، أيوب بن موسى الحسيني ١٠٩٤هـــ، ١٦٨٣م، منشورات وزارة الثقافة دمشق، ج٣، ص ٢٥٤.

(٣) المصباح المنير الفيومي – دار الكتب العلمية مادة العين والدال وما يثلثهما ص٤٦٩ + الكفوي، الكليات، ج٣، ص٢٥٤.

(٤) الكفوي، الكليات ج٣، ص٢٥٤.

كما ورد فيه كذلك تقسيم العدد إلى **تام**[1]، وهو الذي إذا ما اجتمعت أجزاؤه كانت مثله، نحو الستة فإن أجزاءها البسيطة الصحيحة هي النصف والثلث والسدس، فالنصف – ٣ –، والثلث اثنان، والسدس واحد ومجموع ذلك ستة.

وعدد ناقص وهو الذي إذا اجتمعت أجزاؤه البسيطة الصحيحة كانت جملتها أقل منه، وهو الثمانية، فإن أجزاءها: النصف وهو ٤، والربع وهو ٢، والثمن وهو ١. فالمجموع سبعة، **والعدد الزائد** وهو العدد الذي إذا اجتمعت أجزاؤه زادت عليه وهو اثنا عشر، فإن أجزاءها النصف وهو –٦–والثلث وهو –٤– والربع وهو –٣– والسدس وهو –٢– فالمجموع خمسة عشر وهو زائد على الأصل.

فمرجع كهذا يتعرض لتصنيف العدد إلى هذه الأصناف الدقيقة بالشكل الذي قدمناه، يدل على أن اللغويين لم يكونوا بعيدين عن العدد الحسابي الإحصائي الذي لا يمكن أن ينفصل عن البيان اللغوي بأي حال.

فاللفظ بكل مشتقاته وصيغه يدور حول العدد والتعداد، واللغة كما رأينا وسنرى هي الراصد الدقيق لكل الصيغ التي دارت حول هذا المعنى.

العدد في الدراسة النحوية:

إذا كان العدد في مفهومه الاصطلاحي الحسابي كما عرفنا هو الكم الذي يترتب عليه في ما بعد وضع لفظ يكون نتيجة لعمليات الإحصاء والعد والتجميع، فإن العدد في البحث اللغوي يتضمن هذا المعنى ولكنه يأخذ منحى آخر.

فالعدد الحسابي بكل أشكاله كمية ومقدار في حين أن العدد اللغوي بالإضافة إلى ذلك هو أسلوب وتركيب وسمت كلام.

---

(١) المرجع السابق.

والحـــديث عن العدد اللغوي صياغة يختلف عن العدد الحسابي ترميزا وجدولـــة، ونحن في بحثنا هذا سنتطرق إلى العدد من حيث الاستخدام التركيبي اللغـــوي، لأنـــه في هذا الإطار نوع من المركبات اللفظية التي يؤلفها العدد مع المعدود. إذ إن العدد مفردا لا مفهوم له إلا بمعدوده[1]، مذكورا أو مقدرا، وهذا المعـــدود فـــي الاصطلاح هو المسمى بتمييز العدد، لأنه موظف لتمييزه وإزالة إبهامه.

والعلاقة بين العدد والمعدود لا تخرج عن العلاقة بين التمييز والمميز، فكمـــا أن التمييـــز ويـــسمى التفسير والتبيين[2] يفسر ويميز المميز المبهم، فإن المعـــدود كذلك يفسر العدد ويبينه، ولهذا يصنفه النحاة من أنواع التمييز الخاص بالمقادير وهو من أنواع التمييز المفرد.

والمعـــدود ســـواء أكان مفردا منصوبا نحو "طالبا" في ثلاثون طالبا أم مفردا مجرورا في نحو: "طلاب" من ثلاثة طلاب، فهو اللفظ الذي يزيل الإبهام الموجود في العدد.

فالعدد ثلاثون لا مفهوم له مفردا، وهو مجهول المعنى والغرض، وكذلك لفـــظ ثلاث، ولا يزول إبهامهما إلا بذكر المعدود، فلهذا يسمى بالتمييز في حالة النصب وهو كذلك في حالة الجر بالإضافة.

لكـــل ما ذكرنا نرى العدد والمعدود يشكلان مركبا متعدد الأنواع، لأن الجزء الأول من هذا المركب لا يستغني كما أسلفنا عن الجزء الثاني ولأن الثاني يكوِّن مع الأول مفهوما مقداريا لا يتضح إلا بهما.

---

(١) عباس حسن، النحو الوافي ج٤، ص٤٨٢ ، دار المعارف.

(٢) عباس حسن، النحو الوافي ج٤، ص٤٨٩.

والعـــدد بعامة خاضع إعرابيا لموقعه في الجملة، فقد يكون مرفوعا أو منـــصوبا أو مجرورا، وقد يكون مبنيا على الفتح كالأعداد المركبة التي لا تريم عـــن البناء، باستثناء العدد ١٢ الذي يعرب جزؤه الأول إعراب المثنى، ويبنى جزؤه الثاني على الفتح دون أن يكون له إعراب، لأنه بمثابة النون من المثنى، وهـــو الـــسبب في عدم إضافته كأخواته المركبة إلى صاحبها، فلا يقال هذه اثنا عشرك كما يقال هذه إحدى عشرك.(١)

والعـــدد إذا لم يكن جزءا من مفهوم الجملة فيخضع للإعراب وأريد به العـــد فقط، سمي بالعدد المسرود، ويكون في هذه الحالة موضوعا على الوقف، حـــيث يقـــال: واحـــدْ، اثنانْ، ثلاثةْ، أربعةْ، خمسةْ، ستةْ، إلى الألفْ، وذلك لأن المعاني الموجبة للإعراب مفقودة، شأنه في ذلك شأن حروف التهجي، حيث يقال في سردها: ألفْ، جيمْ، تاءْ، هاءْ، نونْ.(٢)

<u>دلالة العدد اللغوي:</u>

إن الحـــديث عـــن العدد اللغوي لا ينفصل كما ذكرنا عن الحديث عنه حـــسابيا ومقـــداريا، فنحن عندما نفرد عنوانا لدلالة العدد اللغوي، لا يعني أننا ســـلخناه عـــن مفهومه الدلالي الأصلي، وإنما أردنا الحديث عنه في صياغاته اللفظية اللغوية.

فالعدد بعامة إما أن يدل على الكمية، ويسمى العدد الأصلي، نحو خمسة وســـتة وأحد عشر، أو يدل على ترتيب الأشياء فيسمى العدد الترتيبي(٣)، وهو

---

(١) الزمخشري/ أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، المتوفى سنة ٥٣٨ هـــ، المفصل في علم العربية ص١٥ دار الجيل، بيروت.

(٢) الزمخشري، المفصل ص٢١٦.

(٣) الشرتوني، رشيد، مبادئ العربية في العرض والنحو، ص١٤٠، منشورات الآداب الشرقية.

الـــذي يدل على رتبة الأشياء فيما بينها نحو: الخامس والسادس والحادي عشر والسبعون والمائة والألف.

ولهـــذين النوعـــين: الأصلي والترتيبي أحكام لغوية تتعلق بكل منهما، وتبين طريقة استعماله ولفظه وتركيبه.

فالعـــدد الأصلي، وهو الدال على الكميات يبدأ من ١-١٠٠٠، وما قبل الـــواحد هو الصفر الذي لا يدل على شيء. والصفر كما ورد في المعجم لفظة تدل على خلو منزلتها من العدد، ويرمز إليه بالعربية هكذا (٥) وبالهندية (٠)[١].

وليس بعد الألف إلا مضاعفاته، وما يتبعها من زيادات العقود والنيفات، وأما المليون فهو تعبير غير عربي، وإذا ما أريد في العربية أن يعبر عن كميته قيل ألف ألف أي: مليون وليس غير.

العدد الأصلي من حيث الاشتقاق:

العدد الأصلي المفرد هو مجموعة الأعداد من ١-١٠ وألفاظ العقود من ٢٠-٩٠ ولفظي المائة والألف، يضاف إلى هذه المجموعات الأعداد المركبة من ١١-١٩، والأعـــداد المعطوفة من ٢١-٩٩، وهذه الأعداد هي تشعيب للأصول وتفريع عنها.[٢]

وقـــد صـــنف اللغويـــون هذه الأعداد بحسب دلالاتها العددية وإعرابها وطريقة ضبطها، وبحسب علاقتها بالمعدود من حيث التذكير والتأنيث، وطبيعة المعدود من حيث الإفراد والجمع والنصب والجر.

---

(١) المعجم الأساسي جماعة من اللغويين (لاروس) مادة صفر ص ٧٣٨.

(٢) الزمخشري، المفصل ص٢١٢.

ولـــسنا في هذا البحث متوخين هذا التصنيف كما ورد في مراجع النحو ومظانـــه، فهو معروض فيها بشكل تفصيلي لا غناء في تكراره. وإنما نحن في بحثـــنا هذا نحاول أن نتلمس الجوانب المتعلقة بالعدد، والتي لم يركز عليها في الغالب ضمن جهود بحثية خاصة، وهوما نحاول القيام به في هذا البحث.

ولعـــل مـــن مـــداخل الحـــديث في هذا الجانب أن نتعرض للأعداد في اشتقاقها وأصولها وتفريعاتها بالشكل التالي:

العـــدد (واحـــد)، ويرمز إليه بـــ (1) أو (١) ، وهو أول العدد وكذلك الـــواحد والأحـــد، وهـــو مشتق من الوحدة، وله صيغ عديدة حيث يقال "واحد" للمذكر وواحدة وإحدى للمؤنث، ويستعمل صفة لمعدوده أو توكيدا له كما قيل في قوله تعالى: "**ونفخ في الصور نفخة واحدة**"[١]، إذ تعرب كلمة واحدة صفة لنفخة أو توكـــيدا[٢]، ولا يتقدم هذا العدد على معدوده، فلا يقال واحد رجل وإنما يقال رجل واحد.

وقيل إن الواحد ليس بعدد[٣]، لأن العدد هو الكمية المتألفة من الوحدات، فلا يكون الواحد عددا[٤] ولأن العدد كذلك كم منفصل، وهو قسم مطلق الكم، ولا يقـــبل القسمة لذاته كما أنه ليس له حاشية صغرى كبقية الأعداد[٥]، والهمزة في إحـــدى وأحـــد منقلبة عن الواو، ولا يستعملان في الأعداد إلا في المنيفة، فيقال واحد وعشرون وإحدى وعشرون[٦].

---

(١) سورة الحاقة الآية ١٣.

(٢) محيي الدين درويش، إعراب القرآن.

(٣) حاشية الجمل مجلد ٤، ص٣٩٧.

(٤) الجرجاني، التعريفات + المصباح المنير.

(٥) الكفوي، أبو البقاء ج٣، ص٢٥٤ + الأشموني ج٤.

(٦) الزمخشري، المفصل ص٢١٦.

وفي التركيب يقال: أحد عشر، وفي منهج الترتيب يقال الواحد والحادي عشر والحادي والعشرون، ولا يستعمل حادٍ وحادية إلا مع (عشر) ومع (عشرين وأخواته) فيقال حاد وعشرون بدون أل أو حادية وعشرون[1]، ومن هذا العدد تشتق الأحادية والأحادي والموحَّد والموحِّد.

العدد (اثنان)، ويرمز إليه بـ (2) أو (٢). وهو لفظ مشتق من الثني، ويطلق على المذكر عدا أو وصفا، وقد يعرب توكيدا أو صفة لما قبله[2]، وهو من الألفاظ الملحقة بالمثنى إعرابا لعدم وجود مفرد له، ويعرب إعرابه سواء أكان مفردا أم مركبا أم معطوفا عليه.

ومعدوده كمعدود الواحد متقدم عليه دائما حيث يقال: رجلان اثنان، وامرأتان اثنتان، كما يقال: رجل واحد، وامرأة واحدة، ولا يقال واحد رجل، أو اثنا رجلين لأن كلمة (رجل) تفيد الجنسية والوحدة، ورجلان يفيد الجنسية وشفع الواحد، فلا حاجة إلى الجمع بينهما[3]. وجاء على غير قياس قولهم:

ظرف عجوز فيه ثنتا حنظل

إذ المفروض أن يقال: ظرف عجوز فيه حنظلتان اثنتان.[4]

وهذا العدد يلفظ بهمزة الوصل حينا، أو بدونها فيقال اثنتان أو ثنتان،[5] حيث تحذف الهمزة لكثرة الاستعمال.

---

(١) ابن الناظم، جمال الدين محمد بن مالك، شرح ألفية ابن مالك، منشورات ناصر خسرو ص٢٩٠. ولد سنة ستمائة ومات في شعبان سنة ٦٧٢هـ.

(٢) حكمه حكم الواحد.

(٣) الدقر، عبد الغني، معجم النحو.

(٤) أي مع بقاء النون، إذ لا إضافة في هذه الحالة. المفصل الزمخشري، ص٢١٢.

(٥) الزمخشري، محمود بن عمر، الأنموذج – شرح الأردبيلي – جمال الدين محمد بن عبد الغني تحقيق د. جني عبد النبي ص١٢١.

وكمـــا يستعمل هذا العدد مفردا، يستعمل كذلك مركبا مع عشر، فيقال: اثـــنا عـــشر في حالة التذكير واثنتا عشرة في حالة التأنيث كما يستعمل تاما في حالة العطف فيقال اثنتان وعشرون، أو ثنتان وعشرون.

ويعرب إعراب المثنى رفعا بالألف ونصبا وجرا بالياء، كما يعرب في حالـــة التـــركيب دون نـــون، مستعاضا عنها بلفظ عشر، فيقال اثنا عشر واثنتا عشرة، ويعرب معطوفا عليه كالمثنى بحسب موقعه رفعا بالألف، ونصبا وجرا بالياء.

وعن هذا اللفظ مكررا يعدل لفظا (ثناء ومثنى) أي: اثنين اثنين، كما في قـــوله تعالى: "**فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع**"، ومنه تشتق الثنائية والمثنى والثنائي.

والعـــددان (١، ٢) يوافقان المعدود مفردين أو مركبين أو معطوفين في حالات الإعراب والتذكير والتأنيث والتعريف والتنكير.

العـــدد (ثلاثة): ويرمز إليه بـــ (3) أو (٣). وهو لفظ مشتق من ثلث، وإلـــيه ترجع كل الصيغ التي تدل على الثلاثة، مثل: ثلث وثلاثي وثالوث وثلث، وعـــنه مكـــررا يعـــدل لفظا (ثُلاث ومَثْلث) أي ثلاثة ثلاثة، ومنه قوله تعالى: "**فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع**"[1].

وهذا العدد هو بداية الجمع وأقله، ويشكل مع الأعداد التالية له إلى تسعة فـــئة الأعـــداد المخالفة، التي لا تتوافق مع معدوداتها التي تليها، وتكون مضافة إليها نحو: ثلاثة رجال، وثلاث نسوة، وسيأتي الحديث عن ذلك لاحقا.

---

(١) النساء الآية ٣.

ومما يقال في هذا العدد أنه إذا عطف على مجروره المعدود، لا يجوز في معطوفه إلا الجر، لأنه جمع واحد وليس بجمعين فيقال: عندي ثلاثة رجالٍ ونسوةٌ بالرفع، بمعنى أن عندي ثلاثة رجال وعندي نسوة.

العدد (أربعة): ويرمز إليه بـ (4) أو (٤)، وهو عدد زوجي مشتق من ربع، وتعود إليه كل مفهومات الرباعية وألفاظها، من رباعي ورباع وتربيع ورابع وربع ومربع ورباعية، وعنه مكررا يعدل لفظ (رُباع ومَرْبع)، كما تقدم في قوله تعالى: "وانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع"[1].

وهذا العدد من الأعداد الزوجية المخالفة لمعدوداتها في التذكير والتأنيث، ومعدوده لاحق به مجرورا بالإضافة، وإذا عطف عليه لم يجز فيه إلا الرفع كما تقدم في لفظ ٣، إذ لا يجوز الجر لأن الأربعة تحتوي على جمع واحد فيقال: لدي أربعة رجالٍ وامرأةٌ أي لدي ثلاثةُ رجالٍ وعندي امرأة واحدة.

العدد (خمسة): ويرمز إليه بـ (5) أو (٥)، وهو عدد وتري مشتق من (خمس)، ومنه تشتق الصيغ المستعملة في الدلالة على التخميس، نحو خمس وخماسي وخميس وخامس ومخمس ومخموس، وعن الخمسة يعدل لفظا (خُماس ومَخْمس) أي: خمسة خمسة.

وهذا العدد كسابقيه من مجموعة الأعداد المخالفة لمعدودها في التذكير والتأنيث، ومعدوده مجرور بالإضافة، وإذا عطف عليه رفع ولا مساغ للجر، لأن العدد لا يتألف من جمعين، فيقال في مثله: عندي خمسة رجالٍ ونساءٌ، أي: ثلاثة رجالٍ وامرأتان إذ لا يوجد من العدد خمسة إلا جمع واحد.

---

(٢) النساء الآية ٣.

العـــدد (ستة): ويرمز إليه بـــ (6) أو (٦)، وأصل اللفظ سدس[١]، فلما كثـــرت فـــي الكلام أبدلوا السين تاء فصارت ست[٢] فالتغيير الأول للتقريب من غيـــر إدغام، والثاني مقصود به الإدغام[٣]. وذكر ابن يعيش أن إدغام ست إنما هـــو علـــى ســـبيل الشذوذ، والذي يدل على أن أصل ست سدسة بالدال أننا في التصغير نقول سديسة وفي الجمع نقول أسداس ولا نقول: أستات.[٤]

وهذا العدد يدل على ست وحدات، وكل وحدة منه تسمى سدسا، كما أن كـــل مشتقاته السداسية مأخوذة منه كالسداسي والمسدس والسديس، وعنه يعدل لفظـــا سُـــداس ومَـــسْدَس أي ستة ستة، وهو من الأعداد المخالفة لمعدودها في التذكير والتأنيث، ولا يكون معدودها إلا جمعا مجرورا، والمعطوف عليه يجوز فيه الجر كما يجوز فيه الرفع فيقال عندي ستة رجالٍ ونساءٍ أو نساءٌ.

العـــدد (سبعة): ويرمز إليه بـــ (7) أو (٧). وهو لفظ مشتق من (سبع) ويدل على سبع وحدات، وإليه تعود كل المشتقات كالسباعي والسابع، وعنه يعدل لفظا سُباع ومَسْبَع أي سبعة سبعة.

ومـــن استخداماته اللغوية والدينية قوله تعالى: "**الذي خلق سبع سموات طباقا**"[٥] وقول الرسول عليه الصلاة والسلام: "سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظلـــه" إلى آخر الحديث، وقوله كذلك: "إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبع مرات إحداهن بالتراب"، وهذا العدد مخالف لمعدوده تذكيرا وتأنيثا، ويكون مجمـــوعا مجرورا، وإذا عطف عليه جاز جر معطوفه لوجود جمعين، أو رفعه

---

(١) مختار الصحاح مادة ستت، ص٢٨٤ – الرازي.

(٢) ابن جني، عثمان، الخصائص ج٢/ ص٤٧٢. دار الهدى للطباعة/ بيروت.

(٣) الخطيب/ عبد اللطيف/ لغويات ص١٧٤.

(٤) شرح المفصل ص١٢٣ لابن يعيش نقلا عن كتاب لغويات للدكتور عبد اللطيف الخطيب.

(٥) سورة الملك الآية ٣.

فـيقال: عندي سبعة رجالٍ ونساءٍ أي: عندي ثلاثة رجال وأربعة نساء أو أربعة رجال وثلاثة نساء.

ولهـذا العدد فضائل كثيرة سردها صاحب المخلاة، ومنها أنه عدد مقنع لأنـه مذكور في السموات والأرض، وفي خلق الإنسان، وفي رزقه وأعضائه التي بها يطيع الله.(١)

وعـن ابن الخباز في شرح الإيضاح قوله: وقد استقريت ما وقفت عليه مـن كـتب العلم والتفسير والحديث والتواريخ وغير ذلك، فلم أر عددًا مذكورًا دائرًا على الألسنة أكثر من هذا العدد.(٢)

العـدد (ثمانـية): ويرمـز إليه بـ (8) أو (٨)، وهو لفظ مشتق من (ثمن)، ويدل على ثماني وحدات تسمى كل وحدة (ثمنا)، وإليه تعود اشتقاقاته المعـروفة، نحو: ثمين ومثمن وثماني، وعنه يعدل لفظا ثـُمان ومَثـْمَن أي ثمانـية ثمانية، والياء فيه للنسب مثل الياء في اليماني وهو بذلك منسوب إلى الثمن.(٣)

والثمانية من الأعداد المخالفة لمعدودها، وتثبت ياؤه مع المذكر والمؤنث في حالة الإضافة، فيقال ثمانية رجال وثماني نساء وتسقط هذه الياء مع التنوينَ عـند الـرفع والجر كما تثبت عند النصب، فيقال: هؤلاء رجالٌ ثمانٍ ومررت برجالٍ ثمانٍ حيث يعامل معاملة (جواري)، ومعدود هذا العدد مجرور بالإضافة، وإذا عطف عليه جُرَّ المعطوف تبعا له.

---

(١) العاملي، بهاء الدين محمد بن حسين، المخلاة ص٣٥٥ دار المعرفة ، بيروت.

(٢) المرجع السابق.

(٣) الكفوي، الكليات، ج٢، ص١٢٨.

العـــدد (تسعة): ويرمز إليه بـــ (9) أو (٩)، وهو ثلاث ثلاثات[١] ويدل على تسع وحدات، والوحدة منه تسمى تسعا أو تسيعا، ويجمع على أتساع، ومنه يـــشتق التاسع والتساعي، وعنه يعدل لفظا (تَـــساع ومَـــتـــسع) الممنوعين من الصرف، ويعنيان تسعة تسعة، وهذا العدد مخالف لمعدوده في التذكير والتأنيث، كمـــا أن معـــدوده مجرور بالإضافة، والمعطوف عليه يجر فيقال عندي تسعة رجال ونسوة، لأن العدد مكون من ثلاثة جموع.

العـــدد (عـــشرة): ويرمز إليه بـــ (10) أو (١٠). وهو لفظ مشتق من عشر ويدل على عشر وحدات، وكل وحدة يطلق عليها عشر، وهو من الأعداد المخالفـــة لمعـــدودها تذكيـــرا وتأنيثا إذا كان مفردا، ويخالف إذا كان مركبا مع الـــواحد إلى التسعة، ولا يشكل في هذه الحالة بنفسه عددا مفردا، وإنما يعد مع غيره عددا واحدا مبنيا معه على الفتح، إلا مع العدد (اثنان) الذي يعرب إعراب المثنـــى رفعـــا بالألف ونصبا وجرا بالياء، ويبقى لفظ عشر مبنيا على الفتح لا محل له من الإعراب، لأنه بمثابة النون كما أشرنا إلى ذلك آنفا.

ومن لفظ عشرة تشتق وحداته الجزئية، نحو: العُشـــر الذي يجمع على عشور وأعشار ويقال للجزء عشير ويجمع عليها عشراء، وفي الحديث الشريف (تـــسعة أعشار الرزق في التجارة)، ويقال كذلك للجزء الواحد معشار، وقيل إن المعشار هو عشر العشر، أي: الواحد من العشر كما يقال إنه عشر العشير أي: أنه واحد من ألف، لأنه عشر عشر العشر.

والعشرة بأجزائها تشكل العقد الذي هو عشرة أجزاء، ومنها تتكون ألفاظ العقود وهي عشرون إلى (تسعون) والعشرة أولها.[٢]

---

(١) محيط المحيط للبستاني مادة عشر في باب العين ثم الشين ثم الراء.

(٢) محيط المحيط للبستاني.

والعــشرة قــد سميت عقدا لأنها تشكل جماعة الأجزاء التي تتم بسقف المجموعة العددية، كما يتم عقد البيت بضم حجارة سقفه بعضها إلى بعض.(١)

والعقــد هــو العــدد يكون على رأس تسعة أعداد قبله من نوع واحد، والعقود لدى النحاة هي التي تبدأ بعشرة وتنتهي بتسعين.(٢)

ولفظ عشرة مفتوح الشين دائما، وقد تكسر أو تسكن عندما تكون مركبة مــثل خمــس عــشْرة، وربما تكسر كما ورد في لغة تميم لطول الاسم وكثرة حركاته، إلا في اثني عشر فإن الشين لا تسكن إلا لسكون الألف والياء قبلها.

وهــذه المجمــوعة مــن الأعداد إذا لم يكن لها معدود وقصد بها العدد المطلق كانت كلها بالتاء، نحو: ثلاثةُ نصف ستةَ وثمانيةُ ضعفا أربعةَ وتكون في هذه الحالة ممنوعة من الصرف لأنها أعلام.(٣)

الأعداد المركبة: ومن ألفاظ العقد الأول تتكون الأعداد المركبة مع لفظ عــشرة، لــتكون بذلك المجموعة الثانية من مجموعات الأعداد، مثل أحد عشر وثلاثــة عــشر إلــى تسعة عشر، وتتميز هذه المجموعة بأنها مبنية على فتح الجــزأين فــي كل الحالات الإعرابية، ما عدا لفظ ١٢ الذي يعرب أوله إعراب المثنى كما ذكر آنفا.

ألفــاظ العقــود: ومــن مفــردات العقد الأول كذلك تتكون ألفاظ العقود المــضاعفة، وهي عشرون إلى تسعون، وهي في الأصل مبنية من (عشرة) بعد

---

(١) المرجع السابق

(٢) عباس حسن، النحو الوافي ج٤، ص٤٨٦.

(٣) الأشموني، علي بن محمد، شرح الأشموني، لألفية ابن مالك، ج٤، ص٦١.
ابن هشام الأنصاري – جمال الدين بن عبد الله، الجامع الصغير في النحو ت ٧٦١هـ، ١٣٦٠م، ص ٢٠٢.
الجامع الصغير في النحو لابن هشام، ص ٢٠٢.

تـضعيفها، وألفاظ العقود في حقيقتها ليست جموعا، وإنما هي أسماء جموع[1] لأنهـا تـدل علـى الجمع ولا مفرد لها مثل قوم ورهط ونساء، إذ إنها أسماء موضوعة لهذه الألفاظ، وليست جمعا لعشرة أو ثلاثة.

فالعـشرة هـي أول العقود كما ذكرنا، فإذا ثنيت أو كررت لمرة واحدة فهـي العـشرون، ولثلاث فهي الثلاثون، ولأربع فهي الأربعون، ولخمس فهي الخمـسون، ولـستٍ فهي الستون، ولسبع فهي السبعون، ولثمانٍ فهي الثمانون، ولتسع فهي التسعون.

فالعـشرون تعني عشرتين، ويلحق في إعرابه بجمع المذكر السالم، ولا يعـد جمع مذكر سالما لعدم وجود مفرد له، ويرفع بالواو وينصب ويجر بالياء، وقد يتساءل أحد عن السبب في اعتباره ملحقا بجمع المذكر السالم دون أن يثنى، فيقال: عشرتان موافقة للمعنى، وفي اعتقادنا أن لفظ العشرين يعني العشرتين من حيث دلالته على العقد أي أنه عقدان أو مجموعتان، لكنه باعتبار دلالته العددية فهو عشرون فردا أو جزءا، ولا نصيب له في التثنية في مثل هذا المعنى.

ولفـظ العـشرين من الألفاظ المحايدة التي لا تتأثر بمعدودها من حيث التذكيـر والتأنيث، كما أن معدوده دائما مفرد منصوب، ولا يأتي جمعا حتى لا يلتقي جمعان من غير فاصل بينهما.

ويعلـل الفـراء لـذلك بقوله: العدد وضع على نفسه لا على أنه صفة لـصاحبه، فقالوا: نلزم العشرين النون لأننا لم نقصد به قصد الرجال، ولا قصد النـساء، ولا مـا بين ذلك لما بعد: وكأن الاسم ليس له واحد منه يعرف فلما لم يكـن على بناء ذُهب به إلى مجهول العدد، تقول العرب: لقيت منه الأمرَّين فلم يحط بعدد، كما لم يعرف للعشرين ولا للتسعين واحد منه.[2]

---

(١) عباس حسن، النحو الوافي، ج٤، ص٤٧٢.

(٢) الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم، المذكر والمؤنث، تحقيق د. طارق الجنابي ج٢، ص٢٥٥.

الـثلاثون هـي العقـد الثاني من ألفاظ العقود، ويعني ثلاث عشرات، ويتحقق فيه معنى الجمع من ناحيتين:

الأولى دلالته على الثلاث – وهي أول الجمع

والأخرى دلالة العشرات الثلاثة على مفهوم المعدود ذي الأفراد المتعددين.

وهـذا العقـد كسابقه ملحق بجمع المذكر السالم من حيث إعرابه بالواو رفعا وبالياء جرا ونصبا، واعتبر ملحقا لخلوه من مفرد له من لفظه.

وبالنسق نفسه يجري الكلام في أربعين وخمسين وستين وسبعين وثمانين وتسعين، إذ يصدق عليها كلها أنها مضاعفات العشرة، وأن إعرابها كإعراب المذكر السالم، وإذا عرفت بأل قيل فيها: العشرون والثلاثون والتسعون وأن لها تمييزا مفردا منصوبا كما ذكر آنفا في لفظ عشرين وما صحبه من تعليل للفراء.

وربما تُميّز هذه العقود على قلة بجمع يصدق على الواحد منها، وهذا خلاف المعهود المذكور، فيقال: عندي عشرون دراهم على معنى: عشرون شيئا، كل واحد منها دراهم[1] وحمل عليه قوله تعالى في العدد المركب ذي المتميز المفرد المنصوب: "**وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا**" على معنى (فرقة) أي: كل فرقة منهم أسباط.[2]

وهذه العقود لا تضاف إلى مميزها، ولكنها قد تضاف إلى أصحابها فيقال: هذه عشرو محمد بحذف النون من أجل الإضافة وهذه عشروك وستوك، على معنى هذه حصتك مما لك من العشرين أو الستين درهما.

وورد في قول الكميت ما يؤيد ذلك إذ قال:

---

(١) ابن الناظم بدر الدين محمد بن مالك – شرح الألفية منشورات ناصر خسرو بيروت ص٢٨٧.

(٢) ابن الناظم، بدر الدين محمد بن مالك، شرح الألفية: منشورات ناصر خسرو، بيروت، ص ٢٨٧

(وستوك قد كربت تكتمل)

أي: الستون السنة الخاصة بك من عمرك.[1]

المائـــة والألـــف وهمـــا الفئة الرابعة من العدد الأصلي، وتمثل عددين يجمعان بين شيء من خصائص المجموعات كلها، من جر للمعدود إلى إفراد له أو جمعـــه حينا آخر، إلى حيادية في التذكير والتأنيث كألفاظ العقود، ولهما بعد ذلك سمات خاصة يتميزان بها.

فالعـــدد (مائة) ويرمز إليه بـــ (100) أ و (١٠٠)، وهو عدد مؤنث[2]، ويحـــتوي علـــى عـــشر عـــشرات، ويقال في لفظه (مئيه)، وهو من الأسماء الموصـــوف بها، يقول سيبويه: مررت برجل مائةِ إبـــلُه[3]، ويجمع على مئات ومـــئون بكـــسر المـــيم وضمها، وأصل لفظ مائة مئي، والهاء عوض عن الياء المحذوفة.

وقد يشتق منه فعل، فيقال: أمأيت القوم أي كانوا تسعة وتسعين فجعلتهم مائة، ولهذا العدد تمييز مفرد مجرور بالإضافة حيث يقال: لدي مائة كتاب، وقد شـــذ تمييـــزه بمفرد منصوب كما جاء في قول الشاعر: إذا عاش الفتى مائتين عاما، وهذا أمر لا يقاس عليه.[4]

وقد يضاف إلى الجمع كما جاء في قراءة حمزة لقوله تعالى: "**ثلاث مائة سنين**"، والتي تنسب كذلك إلى الكسائي، وقد خطأها المبرد، ولم يجوزها إلا في الـــشعر حـــيث قال: وهذا خطأ في الكلام غير جائز وإنما يجوز مثله في الشعر

---

(١) البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب، ج٣، ص ٢٦٧.

(٢) الأنباري، المذكر والمؤنث ص ٢٤٠.

(٣) اللسان ابن منظور، باب الياء فصل الميم ص٢٦٨ ط ١٩٦٨ دار صادر بيروت.

(٤) ابن الناظم، بدر الدين محمد بن مالك، ص ٢٨٦.

للـــضرورة[1]، ومن النحاة من يقرها، فأبو حيان ينقل تجويز أبي علي لإضافة مائة إلى الجمع حيث قال: وقال أبو علي: هذه تضاف في المشهور إلى المفرد، وقد تضاف إلى الجمع.[2]

والعدد (مائة) عدد حيادي مع معدوده بالنسبة للتذكير والتأنيث، إذ يذكر لفظه دون أن يتأثر بمعدوده فيقال: مائة رجل ومائة امرأة بلفظ واحد.

والأصل في لفظ مائة أن يكتب هكذا (مئة) بدون ألف – ولكن الألف قد اجـــتمعت فـــيها حتى لا تختلط اللفظة بكلمتي (منه) وفئة. وتسمى المائة هنيدة والمائتان هند إذ التصغير للصغير والتكبير للكبير.[3]

الألـــف ويرمز إليه بـــ (1000) أو (١٠٠٠)، وهو عدد مذكر في لفظه[4] وقد يؤنث على أنه جمع، ويجمع على ألف وآلاف، ويقال ألوف في جمع آلاف أي أنه: جمع الجمع، قال تعالى: "**وهم ألوف حذر الموت**"[5].

وهـــذا العـــدد يحتوي على عشر مئات، ويعد في العربية مبلغ الأعداد ونهايتها. وعندما تراد مضاعفاته، يقال: ألف ألف، وهو ما يعرف عند المحدثين بالمليون.

ولهذا العدد تمييزه المفرد المجرور بالإضافة، حيث يقال: في القاعة ألف رجل، ويكون جمعا مجرورا إذا كان مجموعا نحو: في القرية ألوف الرجال.

---

(١) تعليق الأستاذ عبد الخالق عضيمة على المقتضب ج٢، ص ١٧١.

(٢) تحقيق عبد الخالق عضيمة للمقتضب ج٢، ص ١٧١، نقلا عن البحر ج٦، ص ١١٧.

(٣) ابن مكي الصقلي، تثقيف اللسان، ج٢، ص١٧١، القاهرة تحقيق د. عبد العزيز مطر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة.

(٤) الأنباري، المذكر والمؤنث، ج٢، ص ٢٤٠.

(٥) سورة البقرة الآية ٢٤٣.

والألـــف عدد حيادي من حيث التذكير والتأنيث، فلا يتأثر بمعدوده من هذا الجانب، ويبقى على لفظه كالمائة.

وقد يوصف بالمؤلفة فيقال: ألف مؤلفة أو ألوف مؤلفة، أي: مكملة.(١)

المخالفة بين العدد والمعدود

قـــد لا يكـــون تكرارا أن نتحدث عن العدد المخالف للمعدود في التذكير والتأنـــيث، وبخاصة أننا قد ذكرنا ذلك عرضا في أثناء الحديث عن الأعداد من (٣-١٠)، فمـــثل هـــذه المخالفـــة ظاهرة بارزة في بناء العدد والحديث عنه، إذ يقتـــضي الـــسياق والمنطق أن يذكر العدد للمعدود المذكر، وأن يؤنث للمعدود المـــؤنث، وأمـــا أن يخـــتلفا فهذا أمر يستدعي الوقوف عنده لجلاء سره وبيان حكمته.

فللعـــدد كما ذكرنا أحكام كثيرة، لا تنحصر كما قلنا في الدلالة المقدارية الحسابية، وإنما تتعداها إلى التركيب والصياغة والإعراب، ومما لا شك فيه أن ظاهرة المخالفة كما أشرنا تبدو غريبة، ولولا أن الاستقراء اللغوي قد أثبت ذلك لكانت المطابقة هي الأولى.

ولهذا نرى التركيز عليها قليلا، لعلنا نجلو شيئا من الحقيقة المتعلقة بها، وقـــد يكون من المفيد قبل أن نخوض في فلسفة التعليل واستعراض ما ذكر في هـــذا الـــصدد أن نبرز هذه المخالفة من باب التذكير بها، ليسهل علينا بعد ذلك الربط بينها وبين ما قيل من أسبابها.

فـــإذا كـــان العددان واحد واثنان، وهما يشكلان الفئة المسالمة يطابقان المعدود السابق لهما، ومجموعة العقود وكذلك المئة والألف، وهي الفئة المحايدة

---

(١) انظر مختار الصحاح، الرازي، ط دار الكتب مادة ألف ص٢٢.

لا تتأثـــر بالمعـــدود تذكيرا وتأنيثا، فإن المجموعة العددية التي تبدأ من (٣-٩) وتنتظم بها العشرة مفردة وهي الفئة المعائدة تخالف معدودها فتذكر معه إن كان مؤنثا، وتؤنث معه إن كان مذكرا وذلك بالنظر إلى مفرد هذا المعدود كما يرى الجمهور أو إلى لفظ الجمع كما يرى البغداديون[١].

ولـــسنا بحاجة إلى جدولة هذه الأعداد، فهي مشروحة بالتفصيل في كل مؤلفات النحو المرجعية والمنهجية.

ولكن ما سر هذه المخالفة ولماذا كانت ؟

تعليل المخالفة: لم تقع مخالفة العدد للمعدود كما ذكرنا آنفا إلا في نطاق هـــذه المجموعة، وهي مخالفة واجبة في مختلف استعمالاته، سواء أكانت مفردة أم مـــركبة أم معطوفا عليها، وقد عللت هذه المخالفة بأقوال عديدة منها: أن هذه الأعـــداد مؤنثة الأصل، مثل: زمرة وفرقة وطائفة، فرئي أن يستصحب الأصل المذكـــر لـــسبقه، وأن يكـــون التذكير مع المؤنث لكونه لاحقا للمذكر ومتأخرا عنه[٢]، وذكر الأردبيلي في شرحه للأنموذج، معللا لذلك أن هذه الأعداد بمعنى (جماعـــة)، فهـــي فـــي المعنى مؤنث، فينبغي أن تزاد علامة التأنيث في لفظها لـــتطابق المعنـــى، والمذكـــر لكونه أصلا وهوأولى برعاية هذه المطابقة، وإذا روعيت فيه ففي المؤنث لا يمكن وإلا لم يبق فرق بينهما.[٣]

وقـــيل إن مـــن حـــق هذه الأعداد أن تستعمل بالتاء مطلقا لأن مسماها جموع، والجموع غالبٌ عليها التأنيث، ولكن أرادوا التفريق بين المذكر والمؤنث

---

(١) الأشموني ج٤، ص٦١ ط الحلبي.

(٢) الصبان، حاشية الصبان على شرح الأشموني، ج٤، ص٦١ الحلبي.

(٣) شـــرح الأردبيلـــي للأنموذج في النحو للمزمخشري تحقيق د. حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب، القاهرة.

فجـــاءوا بعدد المذكر بالتاء على القياس لكونه أصلا، وبعدد المؤنث بغير التاء للتفريق.(١)

وقـــال الفراء: تثبت الهاء في عدد المذكر، ولا تدخل في عدد المؤنث، لأن العدد مبني على الجمع، فلما كانوا يثبتون الهاء في جمع المذكر فيقولون في جمع صبي صبية وفي جمع غلام غلمة وفي جمع رغيف أرغفة، وفي قرد قردة وحجر حجارة أثبتوها في عدده، لأن العدد مبني على الجمع.

ولمـــا كانـــوا لا يدخلـــونها في جمع المؤنث، فيقولون في جمع رُكْـــبة رُكَـــب، وقِرْدة قِرَد وغرفة غُرف لم يدخلوها كذلك في عدد المؤنث، لأن العدد أيضا مبني على الجمع.(٢)

ويقـــول أبـــو حـــاتم السجستاني: إنما أدخلوا الهاء في عدد المذكر، ولم يدخلـــوها في عدد المؤنث، لأن المؤنث أثقل من المذكر، وأكثر المؤنث فيه هاء التأنيث، فجعلوا جمع المؤنث بلا هاء، ليكون أخف له، لأن الهاء لزمت الواحدة ولذلك ثقل فكرهوا أن يمكنوا ذلك الثقل حتى لا ينتقل من الواحدة إلى الجماعة، ففـــروا من ذلك فحذفوا الهاء في الجمع ليعتدل الجمع، فيكون ثـــقيلٌ مع خفيف، وأما المذكر فخفف فأدخلوا الهاء في جمعه، فقالوا ثلاثة ليكون ثـــقيلٌ مع خفيف فيعـــتدل، وكـــرهوا أن يجمـــع بين الثقيلين، فجعلوا ثقيلا مع خفيف وخفيفا مع ثقيل.(٣)

وقـــيل فـــي هـــذا الصدد أكثر مما ذكرنا مما دار في معظمه حول خفة التذكير وثقل التأنيث وجريان كل من المؤنث والمذكر على أصله.

---

(١) ابن الناظم، بدر الدين بن محمد، شرح ألفية ابن مالك، ص ٢٨٤.

(٢) الأنباري، محمد بن القاسم، المذكر والمؤنث، ج٢، ص ٢٣٢.

(٣) المصدر السابق ص ٢٣٤.

وفـــي اعتقادنا أن الآراء التي ذكرت هي ضرب من التعسف والتحليل الفلسفي الذي لا فائدة منه دائما، وإنما هو ضرب من الترف الفكري، لا نملك إلا تقديـــره وليس قبوله بالضرورة – وما نرجحه في هذا الصدد هو أن الاستقراء وتتبع الجزئيات لإدراك الكليات وإحقاق حقائقها هو الذي أفضى بنا إلى استخدام العـــدد كمـــا ورد، وحسبنا أن نجد ذلك في النصوص المعتمدة وبخاصة القرآن الكـــريم كما في قوله تعالى: "**ســـخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما**"(١) وليس بيقين أن يكون ثقل المركب الإضافي المكون من جمعين سببا في تخفيفه باختلاف المتضايفين تذكيرا وتأنيثا درءا له من ثقل ثالث.

ومـــع هذا نعود ونقول إن الاستقراء وواقع اللغة هما اللذان يقران هذه الظاهرة، دون الوغول في تعليلها وتفسيرها، ولولاهما لما وجد في نظرنا مانع من جريان الأمر على طبيعته فيتوافق المذكر مع المذكر والمؤنث مع المؤنث.

يقـــوي ذلك إمكان الأمرين (المطابقة وعدمها) في حالة تقديم المعدود علـــى العـــدد فـــي مـــثل: قرأت الكتب الثلاث أو الثلاثة، علما بأن المركب الوصـــفي لا يقـــل ثقلا عن المركب الإضافي. ويعززه كذلك قوله تعالى في كـــتابه العزيـــز "**من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها**"(٢)، حيث ذكر العدد مع كـــون المعـــدود جمعا مذكرا، ولم يكن في ذلك أي ثقل في اللفظ، ولا نذهب بعـــيدا بالاغترار في ما ذهب إليه النحاة من التأكيد على أن الآية جارية على أصـــلها، وأن العدد مع معدوده المؤنث حيث قالوا: الأمثال جمع مثل والمثل مذكـــر، أي أنـــه جمع لمذكر وصف لمحذوف مؤنث، يكون معه تقدير الآية هكذا "من جاء بالحسنة فله عشر حسنات أمثالها".(٣)

---

(١) الحاقة الآية ٧.

(٢) الأنعام الآية ١٦٠.

(٣) الأنباري محمد بن القاسم، المذكر والمؤنث، ج٢، ص ٢٣٨.

ولا ندري لم هذا التخريج، والاستخدام واضح ولا يحتاج إلى تحميله ما لا ضرورة لتحميله إياه، وحسبنا أن نقول إن المخالفة استقرائية يقتضيها النسق التعبيري الذي تهدف إليه لغتنا في مختلف أحكامها، كالحذف والتعويض والقلب والتخفيف، وإن ما ورد مما يخالف ذلك يحمل على الجواز والقلة وحسب.

العدد الترتيبي:

سبق أن ذكرنا أن العدد ينقسم إلى، أصلي وقد ذكرناه وترتيبي وهو ما سنتحدث عنه:

فإذا كان العدد الأصلي هو العدد الدال على الكميات، فالترتيبي هو العدد الذي يدل على ترتيب الأشياء والمفردات وبيان مواقعها وأوصافها.

وهذا يعني أن العدد الدال على الترتيب هو عدد وصفي أي أنه نعت لغيره موجودا هذا الموصوف أم مقدرا، لذلك كان حكمه الإعرابي المتابعة لموصوفه طالما أنه في موقع النعت، فنقول: أكرمت الطالب الأول أو الثاني أو الثالث في صفه، ونقول كذلك هذا السؤال الثاني عشر والتاسع عشر، وهذه هي المرة العشرون أو التسعون أو المائة أو الألف.

ويطابق العدد الترتيبي معدوده في التذكير والتأنيث والتعريف والتنكير والإفراد والتثنية والجمع وفي وجوه الإعراب، شأنه في ذلك شأن الوصف الذي يطابق موصوفه في أربعة من الوجوه العشرة التي ذكرها النحاة في مصنفاتهم وشروحهم.

ومعظم مفردات العدد الترتيبي مصوغ على وزن فاعل ويتعين ذلك في مجموعة الواحد إلى العشرة و في الجزء الأول من العدد المركب والمعطوف عليه في العقود، وأما العقود ذاتها ولفظا المائة والألف فيصاغ منها الترتيب على ألفاظها بقرينة المقام.

فالعـــدد المفرد وهو من (١-١٠) يعبر عن الترتيب منه بلفظ الأول عن الواحد. ولا يقال واحد وواحدة وحادي وحادية إلا في حالتي العطف والتركيب، فيقال الواحد والعشرون، والواحدة والعشرون أو الحادية عشرة أو الحادي عشر وفـــي غيرها يقال: الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس والسابع والثامن والتاسع والعاشر.

وفـــي المركب بعامة: يقال حادي عشر وثاني عشر وثالث عشر ورابع عـــشر وخامس عشر وسادس عشر وسابع عشر وثامن عشر وتاسع عشر مع المذكـــر وبالتاء في الجزأين مع المؤنث بحسب الموصوف وتكون هذه الأعداد الوصفية مبنية على فتح الجزأين كما في العدد الكمي.

وفـــي المعطـــوف، يقـــال: الحادي والعشرون إلى (التاسع والتسعون) فالمعطوف عليه يطابق معدوده في كل ما للصفة، في حين أن العقد المعطوف لا يتأثـــر بالتذكير ولا بالتأنيث كشأنه وهو عدد أصلي وأما العقود من لفظ عشرين إلـــى تسعين، وكذلك المائة والألف، فهي ألفاظ عددية تدل على الترتيب بقرينة التعـــريف اللفظـــية أو الحالـــية فـــيقال: وصلت في قراءة الكتاب إلى الصفحة الأربعين أو الصفحة المائة أو الصفحة الألف.[١]

<u>وللعدد الترتيبي ثلاث دلالات:</u>

الأولـــى: دلالـــة الوصـــف المطلـــق، نحو رابع وعاشر وتاسع عشر والعشرون والألف.

والثانـــية: الدلالة على أن الموصوف واحد من مجموعة لا تتعدى العدد المشتق منه كأن يقال: هذا ثالث ثلاثة أو خامس خمسة أي أنه أحد الخمسة دون الإشـــارة إلـــى مـــوقعه بينهم ويلاحظ أن صياغته تجمع بين النوعين الترتيبي والأصلي. ومثاله قوله تعالى: **"ثاني اثنين إذ هما في الغار"**[٢]

---

(١) الشرتوني، رشيد، ص ١٤٥.

(٢) التوبة الآية ٤٠.

الثالثة: الدلالة على التأثير في العدد الأصلي بجعله زائدا عليه بأن يكون مضافا إليه أو عاملا فيه النصب على معنى "جاعل" كأن يقال: هذا رابع ثلاثة، أي جاعـل الثلاثة أربعة أو عاشر تسعة أي أنه جاعل التسعة عشرة، ويتم ذلك كمـا قلـنا بإضـافة الأول للثانـي بتنوين الأول ثم نصب الثاني. وإلى هذين الاستعمالين يشير ابن مالك في ألفيته بقوله:

وإن ترد بعض الذي منه بنى تضف إليه مثل بعضٍ بيِّن
وإن ترد جعل الأقل مثل ما فوق فحكم جاعل أحكما

وبالعـددين الأصلي والترتيبي ورد قوله تعالى: "**سيقولون ثلاثة رابعهم كلـبهم ويقولـون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا**".(١)

العدد الصريح والكنائي

وينقسم العدد من حيث الدلالة المباشرة وغير المباشرة إلى عدد صريح وعدد كنائي.

فأما الصريح، فهو العدد الذي يدل على المعدود مباشرة برمزه نحو (٣) أو بلفظه نحو ثلاثة.

وأمـا العدد الكنائي، فهو اللفظ الذي يدل على العدد دلالة غير صريحة ولا محدودة.

ولـه ألفـاظ خاصـة يؤدى بها وتختلف في ما بينها من حيث الدلالة، وينحصر هذا العدد الكنائي في المعنوية والمقدارية في بعض الأحيان، وينحصر

---

(١) الكهف الآية ٢٢.

هـــذا العـــدد في كم الاستفهامية والخبرية وكأين وكذا كذا وألفاظ البضع والنيف والـــضعف وفي رأينا أن الجموع أيضا بكل أنواعها كنايات عددية وفي حسبنا تعدادها لا تفصيلها.

العـــدد ولغة التاريخ: التاريخ هو تقييد الحوادث والأمور الجارية بزمن معين مشهور بحيث ترتبط به وتنسب إليه، سواء أكانت قد وقعت وتحققت فيه أم وقعت في زمن آخر.[1]

وقـــد جرت عادة المؤرخين المحدثين أن يؤرخوا للوقائع بالعدد الأصلي أو الترتيبـــي، كـــأن يقـــال مـــثلا: جـــلا الإنجليز عن أرض فلسطين في يوم ١٩٤٨/٥/١٥ أو يقـــال: فـــي اليوم الخامس عشر من أيار عام ألف وتسعمائة وثمانية وأربعين.

في حين أن المؤرخين القدامى قد جرت عادتهم على التأريخ بالليالي من الشهر القمري لسبقها على النهار[2] وذلك من خلال تعبيرات سليمة اللغة مراعى فـــيها قـــواعد التذكير والتأنيث وقواعد إلحاق الضمائر بالفعلين (خلا) أو مضى للتعبير به عما انقضى و (بقي) للتعبير به عن الأيام التي بقيت من الشهر.

فالشهر الهجري تسعة وعشرون يوما أو ثلاثون، توزع الأحداث المراد تأريخهـــا علـــى أيامه، فعلى افتراض أن الشهر الذي يراد التأريخ فيه هو شهر رمضان، فإن الأحداث الواقعة فيه تصاغ تواريخها بالأشكال الآتية:

---

(١) عباس حسن، النحو الوافي، ج٤، ص ٥٢٤-٥٢٥.

(٢) الأشموني، شرح ألفية ابن مالك، ج٤، ص ٦٣٢.

الحدث	الليلة	التأريخ	(١٥) رمضان	الحدث	الليلة	التأريخ
* * *	الأولى	لمهل شهر رمضان أو مستهله أو لأول ليلة منه – أو لغرته – وقع كذا وكذا	النصف من رمضان أو لمنتصف رمضان، وقد يقال لخمس عشرة ليلة خلت أو خلون من رمضان أو لخمس عشرة ليلة بقيت أو بقين من رمضان	* * *	السادسة عشرة	لأربع عشرة ليلة بقيت أو بقين من رمضان
* * *	الثانية	ليلتين خلتا من رمضان		* * *	السابعة عشرة	لثلاث عشرة ليلة بقيت أو بقين من رمضان
* * *	الثالثة	لثلاث ليال خلون أو خلت من رمضان		* * *	الثامنة عشرة	لاثنتي عشرة ليلة بقيت أو بقين من رمضان

* * *	الرابعة	لأربع ليال خلون أو خلت من رمضان		* * *	التاسعة عشرة	لأحد عشرة ليلة بقيت أو بقين من رمضان
* * *	الخامسة	لخمس ليال خلون أو خلت من رمضان		* * *	العشرون	لعشر ليال بقين أو بقيت من رمضان
* * *	السادسة	لست ليال خلون أو خلت من رمضان		* * *	الحادية والعشرون	لتسع ليال بقين أو بقيت من رمضان
* * *	السابعة	لسبع ليال خلون أو خلت من رمضان		* * *	الثانية والعشرون	لثماني ليال بقين أو بقيت من رمضان
* * *	الثامنة	لثماني ليال خلون أو خلت من رمضان		* * *	الثالثة والعشرون	لسبع ليال بقين أو بقيت من رمضان

* * *	التاسعة	لتسع ليال خلون أو خلت من رمضان		* * *	الرابعة والعشرون	لست ليال بقين أو بقيت من رمضان
* * *	العاشرة	لعشر ليال خلون أو خلت من رمضان		* * *	الخامسة والعشرون	لخمس ليال بقين أو بقيت من رمضان
* * *	الحادية عشرة	لإحدى عشرة ليلة خلت من رمضان		* * *	السادسة والعشرون	لأربع ليال بقين أو بقيت من رمضان
* * *	الثانية عشرة	لاثنتي عشرة ليلة خلت من رمضان		* * *	السابعة والعشرون	لثلاث ليال بقين أو بقيت من رمضان
* * *	الثالثة عشرة	لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان		* * *	الثامنة والعشرون	لليلتين بقيتا من رمضان

* * *	الرابعة عشرة	لأربع عشرة ليلة خلت أو خلون من رمضان		* * *	التاسعة والعشرون	لليلة بقيت من رمضان
				* * *	الثلاثون	لسرر رمضان أو لسرارة أو لآخر ليلة منه أو لسلخه أو لانسلاخه

ومن أمثلة هذا الاستخدام الميدانية، ما جاء في البداية والنهاية عن غزوة هـوازن حـيث قال ابن كثير: وقد ذكر محمد بن إسحاق بن يسار في كتابه أن خروج الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى هوازن بعد الفتح في خامس شوال سـنة ثمان، وزعم أن الفتح كان لعشر بقين من شهر رمضان قبل خروجه إليهم بخمس عشرة ليلة.

ويواصـل فيقول: وقال الواقدي: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هوازن لست خلون من شوال فانتهى إلى حنين في عاشره.[1]

وفي الطبري[2] ذِكْرٌ لبعض الأحداث التي وقعت في عام سبعة وثمانين بعـد المائتين حيث قال: ولأربع ليالٍ بقين من صفر دخل المعتضد من متنزهه إلـى بغـداد، وفي يوم الأربعاء لثلاثَ عشرةَ خلت منه ولى جعفر بن محمد بن حنفي هذا، ولليلةٍ بقيت من جمادى الأولى من هذه السنة ورد الخبر عن السلطان أن كـذا وكذا، وفي يوم الأحد لعشرٍ خلون من شهر ربيع الآخر قعد بدر مولى المعتـضد في داره، وفي يوم الاثنين لإحدى عشرة خلت من شهر ربيع الآخر مات محمد بن عبد الحميد الكاتب.[3]

والسيوطي في مقدمة المزهر يقول عن نفسه: وكان مولدي بعد المغرب مستهل رجب سنة تسع وأربعين.

وهكذا ومن خلال الجدول السابق والأمثلة التي أوردناها نلاحظ الصياغة اللغوية الصحيحة في التعبير عن التواريخ من خلال ما يلي:

---

(١) ابن كثير، أبو الفداء الحافظ، البداية والنهاية، ج٤.

(٢) الطبري، ج١٠، ص ٥٧٥، تحقيق محمد أبو الفضل، دار المعارف بمصر.

(٣) تاريخ الطبري، ج١، ص ٧٥-٧٦.

أولا : استخدام الفعل خلا للأيام الماضية من الشهر حتى منتصفه، وقد يستعمل الفعل مضى بدلا منه كما استخدم الفعل بقي للأيام التالية لليوم الخامس عشر حتى آخره.

ثانيا : غلبة استخدام تاء التأنيث مع الأعداد التي تميز بمفرد وهي من (١١-١٩) لمراعاة الأصل واستخدام نون النسوة مع الأعداد التي تميز بجمع وهي من (٣-١٠) ولمراعاة الأصل كذلك مع جواز أن تخلف النون التاء وبالعكس.[١]

ثالثا: : تمييز الليلة الخامسة عشرة وكذلك الأخيرة بأوصاف تميزهما عن بقية الليالي.

رابعا : من الممكن إضافة العدد إلى تمييزه ليلة أو ليال أو تقديره كما في العدد ذاته الذي يجوز فيه أن يذكر معدوده أو يقدر كما في قول الرسول عليه الصلاة والسلام: من صام رمضان إيمانا واحتسابا وأتبعهن ستا من شوال فقد دخل الجنة (بحذف معدود الستة).

خامسا : السلام الجارة لكلمة ليلة بمعنى عند أو في بتقدير مضاف أي عند استقبال أو في استقبال[٢]

ومما يجدر التأكيد على ملاحظته هنا أن التأريخ بالليالي لسبقها كما قلنا، ولكن هل يجوز اتباع النهج نفسه في تأريخ الأحداث بالأيام كما التأريخ بالليالي

---

(١) الأشموني، شرح الأشموني للألفية، ج٤، ص ٧٩ + عباس حسن، النحو الوافي، ج٤، ص ٥٢٥

(٢) الصبان، الحاشية، ج٤، ص ٨٧.

بالليالي ؟ إجابة عن ذلك، نقول: إن ذلك لم يرد في الحقيقة ولم ينتهج هذا النهج أحد في ما نعلم. ومع هذا فإننا نعتقد جوازه من باب القياس والمحاكاة مع مراعاة التعبيرات نفسها واستخدامها في إطار ما تقتضيه قواعد التذكير والتأنيث وإلحاق الضمير.

فلا مانع في ما نرى أن يقال مثلا: لأربعة أيام خلون أو خلت من أكتوبر حدث كذا وكذا أو لثلاثة عشر يوما بقين أو بقيت من أكتوبر وقع كذا وكذا.

العدد وحساب الجُمل

ويقتحم العدد الحسابي فنون اللغة وأساليبها فنجده يترجم الحروف الأبجدية إلى مقادير أسموها حساب الجُمَّل، وأحرف الجمّل هي مجموعة من الحروف تشكل بألفاظها هذا الحساب.[1] وعنه يقول ابن دريد ولا أحسبه عربيا[2] وحساب الجمل هو حساب الأحرف الهجائية الذي يقال له حساب الأبجدية المجموعة في إبجد، هوز حطي، كلمن، سعفص، قرشت، ثخذ، ضظغ، وعليه تبنى التواريخ الشعرية.[3] إذ إن لكل حرف حسابه الذي يغطى به بالشكل التالي:

---

(١) السيوطي، المزهر، ج٢، ص ٣٤٨.

(٢) الوافي (معجم وسيط اللغة العربية الشيخ عبد الله البستاني)

(٣) المنجد في اللغة والأعلام ط٢٢ مادة جمل ص١٠٢.

الألف	تعادل	١	الياء	تعادل	١٠	القاف	تعادل ١٠٠
الباء	تعادل	٢	الكاف	تعادل	٢٠	الراء	تعادل ٢٠٠
الجيم	تعادل	٣	اللام	تعادل	٣٠	الشين	تعادل ٣٠٠
الدال	تعادل	٤	الميم	تعادل	٤٠	التاء	تعادل ٤٠٠
الهاء	تعادل	٥	النون	تعادل	٥٠	الثاء	تعادل ٥٠٠
الواو	تعادل	٦	السين	تعادل	٦٠	الخاء	تعادل ٦٠٠
الزاي	تعادل	٧	العين	تعادل	٧٠	الذال	تعادل ٧٠٠
الحاء	تعادل	٨	الفاء	تعادل	٨٠	الضاد	تعادل ٨٠٠
الطاء	تعادل	٩	الصاد	تعادل	٩٠	الظاء	تعادل ٩٠٠
						الغين	تعادل ١٠٠٠

ومـــن هذه الحروف ومقاديرها نشأ التاريخ الشعري، وهو لون بديعي نشأ في أواخر العصر المملوكي.[١] وهو أن يضع الشاعر في آخر أبياته وبعد كلمة أرخ أو مشتقاتها كلمات إذا حسبت حروفها بحساب الجمل اجتمع فيها تاريخ المناسبة التي يغطيها، سواء أكانت مناسبة وفاة أو ولادة أو حج أو إنجاز أو زواج.

ومنه قول شاعر يؤرخ لطبع المخصص لابن سيده في عام ١٣٢١ هـــ: إذ قال:

---

(١) المعجم المفصل في اللغة والأدب، د. إميل يعقوب وميشيل العاصي، المجلد الأول.

أقول لما انتهى طبعـا أؤرخـــه جاء المخصص يروي أحسن الكلم

٤ ٨٥١ ٢٢٦ ١١٩ ١٢١

ومجموع هذه الأرقام هو سنة الطباعة وهي: ١٣٢١ هـ.

وفي نموذج لشاعر آخر في تهنئة ولده بمولود له رزقه الله به في شهر ذي الحجة من عام ١٣٤٠ هـ حيث قال:

صُـهَيبٌ جـاء في شهر عظيم بـه حج إلى البيت الحرام
فقلـت إلـى أبيه اليوم اهنأ وأبـشر بالغلام على الدوام
صـحابيٌ جلـيلٌ كان يدعى بهذا الاسم ما بين الأنام
وجـاء إلـيه تاريخي بصدق صهيب جاءنا في خير عام

١٩٦ ١٠٧ ٢٦ ٩٠ ٨١٠ ١١١

العدد وطرائف اللغة

لـيس العـدد فـي كل لغات الأرض ببعيد عن مجال الألغاز والتحجية واختبارات الذكاء واكتناه ما وراء الأعداد من مدلولات ونتائج وإشارات.

وهـو في اللغة العربية كذلك، مادة لاختبار الذكاء ووسيلة للتعرف إلى مستويات الإدراك ومقاديرها ودرجاتها.

ويـزيد علـى ذلـك أن العـدد فـي لغتنا متوافر في الأحاجي العربية والموضـوعات اللغوية بدرجة تدل على موقعه البارز في الدراسة اللغوية سواء من حيث صياغته أو تركيبه أو إعرابه أو أصول مفرداته.

فقـــد وجدنا العدد الحسابي في موضوع دخول (ما) على إن وأخواتها، وذلـــك فـــي صدد الحديث عن (ليت) التي تعمل أو تهمل دون أخواتها في حالة اقترانها بما. ويستشهد النحاة على ذلك بشاهد نحوي هو في الوقت نفسه أحجية رياضـــية وذلك في قول النابغة على لسان امرأة تدعى زرقاء اليمامة، يقال أنها نظـــرت إلى السماء، ورأت سربا من الحمام استطاعت بذكائها وحدة نظرها أن تعرف عدده بمجرد أن رأته وعن ذلك تقول الرواية إنها:[1]

قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا إلى حمامتنا أو نصفه قَدِيَهْ

وفي رواية أخرى أنها قالت[2]:

ليت الحمام ليه * إلى حمامتيه * أو نصفه قَدِيهْ * تم الحمام مِيَهْ

وهي بذلك تريد أن تقول: ليت العدد الذي أراه من الحمام في السماء مع الحمامة التي لدي مضافا إلى نصفه يكون المجموع مائة، أي أن العدد المقصود هو ست وستون.

فالمـــسألة كما تبدو رياضية أشير لها في شاهد نحوي وهو جواز نصب الحمام بإعمال ليت وجواز رفعه بإهمالها.

وفـــي قول سيدنا عمر بن الخطاب في شأن قوله تعالى: "**إن مع العسر يـــسرا إن مع العسر يسرا**" لن يغلب عسر يسرين، وقد ذكر النحاة أن النكرة إذا أعـــيدت نكـــرة أي كررت مرة ثانية كانت الثانية غير الأولى وأن المعرفة إذا ذكرت مرتين كانت الثانية عين الأولى.

---

(١) الأشموني، شرح الأشموني، ج١، ص ٢٨٤.

(٢) حاشية الصبان، علي الأشموني، ج١، ص ٢٨٤.

فاليسر في الآية الكريمة قد ذكر مرتين فالأول فيهما غير الثاني في حين أن العسر وهو معرفة قد ذكر مرتين فالعسر الثاني هو عين الأول فهو عسر واحد – وعليه فاليسر يسران والعسر عسر واحد ومثل ذلك أن نقول:

اشتريت سيارة وبعت سيارة فالثانية غير الأولى.

وإذا قلت اشتريت السيارة وبعت السيارة فالسيارة الثانية هي عين الأولى.

ومن طرائف العدد كذلك ما ورد في قول أبي نواس متحدثا عن مجلس لهو في قصيدة له، حيث قال[1]:

ودارِ ندامى عطلوها وأدلجوا بها أثرٌ منهم جديدٌ ودارس
أقمنا بها يوماً ويومين بعده ويوما له يومَ الترحل خامس

فقد اختلف في عدد الأيام المقامة إن كانت خمسة أو ثمانية، فمن قائل إنها خمسة ومن قائل إنها ثمانية وهو الصحيح لأن الشطر الأول ينبئ عن ثلاثة أيام كاملة والشطر الثاني ينبئ عن خمسة أخرى تبدأ باليوم الذي ذكر في الشطر الثاني وكان له خامس، أي أنه يتحدث عن خمسة أيام يكون اليوم الذي تصدر فيه الشطر الثاني أحدها وليس رابعا ختم بالخامس، فعلى ذلك يكون المجموع ثمانية أيام.

ويقول اللغويون: دخل رمضان في الواوات، يكنون بذلك عن انقضاء الثلثين ودخول الشهر في الثلث الأخير الذي يبدأ من (٢١-٢٩) حيث يقال واحد وعشرون وخمس وعشرون وتسع وعشرون بعطف العقد على العدد بالواو، ولا يخفى ما في هذه الكناية اللغوية من لطف ظاهر في توظيف اللغة في التكنية عن العدد.

---

(١) الحصري، زهر الآداب، ج٣، ص ١٧٥.

ومـــن طرائف العدد أيضاً حديث النحاة عن واو يسمونها واو الثمانية[١] وهـــي التي تسبق العدد ثمانية عند العد حيث يقال واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة وثمانية، بإدخال الواو على ثمانية دون غيرها لأن السبعة عندهم عدد كامل والعدد بعدها مستأنف.[٢]

ومـــن ذلـــك قوله تعالى في سورة الكهف[٣]: "**ويقولون سبعة وثامنهم كلـــبهم**"، حيث أتت الواو بعد السبعة، وفي قوله كذلك: "**وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها**"[٤] حيث ذكرت الواو في قوله (وفـــتحت) لأن أبـــواب الجنة ثمانية، في حين أن الواو لم تذكر في الحديث عن أبواب جهنم لكونها سبعة، حيث قال تعالى: "**حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها**"[٥].

وجـــاءت الـــواو في قوله تعالى: "**والناهون عن المنكر**" سابقة للوصف الثامن، وعن واو الثمانية هذه، يقول ابن هشام: ذكرها من النحاة الحريري، ومن النحويين الضعفاء ابن خالويه.[٦] في حين أن العاملي يقول عنها على لسان أبي علـــي المالقـــي: أنها لغة فصيحة لبعض العرب، ويعقب بقوله: واللغة الفصيحة التي أشار إليها هي لغة قريش.[٧]

من كل ما قدمناه وذكرناه عن العدد نخلص إلى أن:

---

(١) ابن هشام، المغنى، ج٢، ص ٣٥.

(٢) العاملي، بهاء الدين، المتوفى سنة ١٠٣١ هـــ، المخلاة ص ٣٥٤ + ابن هشام، المغنى، ج٢، ص ٣٥.

(٣) الكهف آية ٢٢.

(٤) الزمر الآية ٧٣.

(٥) سورة الزمر الآية ٧١.

(٦) ابن هشام، المغنى، ج٢، ص ٣٥.

(٧) العاملي، المخلاة، ص ٣٥٤.

- العدد هو اللفظ الدال على المقدار سواء أكان ملفوظاً أم مكتوبا في حين الـرقم هـو العدد المكتوب وليس الملفوظ، وهذا يعني أن كل رقم عدد وليس كل عدد رقماً.

- المخالفـة فـي التذكير والتأنيث بين الأعداد (٣-٩) ومعدوداتها ظاهرة استقرائية ونظام لغوي ينطلق من مفهوم التخفيف والتناسق وكل ما قيل عدا ذلك تعليلات جدلية لا ترقى إلى الحقيقة.

- الجمـوع وأسـماء الجمـوع ولفظ ضعف كنايات عددية يجب أن تذكر ضمن كنايات العدد لأنها لا تدل على المقادير صراحة.

- العـدد اللغـوي لا ينـسلخ عن مفهومه الحسابي وبذلك يدخل كتركيب وتعبير في الألغاز وامتحان الذاكرات الحسابية كما يدخل في التعبير عن الأحـداث والـتأريخ لهـا بسمت تعبيري خاص تعامل معه المؤرخون القدامـى فـي مـراجعهم التاريخـية التـي تـؤرخ للحروب والوقائع والمناسبات.

- العدد قد حظي في اللغة العربية من البحث والتقنين والتأصيل ما لم يحظ بـه في أي لغة أخرى ولهذا نجده دائماً من موضوعات النحو ومفرداته ودروسه.

وبعـد: فهـذا هـو العدد الحسابي في وجوهه اللغوية اشتقاقاً وصياغة وتـركيباً وإعـراباً واستخداماً. نأمل أن نكون قد عرضناه للقراء بطريقة سلسة طريفة يتقرب بها إلى الأذهان والألسنة والأقلام.

المراجع

١- القرآن الكريم.

٢- أساس البلاغة – الزمخشري.

٣- البداية والنهاية لابن الأثير.

٤- تثقيف اللسان لابن مكي الصقلي.

٥- الجامع الصغير لابن هشام.

٦- حاشية الصبان – علي الأشموني ط الحلبي.

٧- حاشية الجمل.

٨- محيط المحيط (معجم) البستاني.

٩- مختار الصحاح (معجم) الرازي.

١٠- الخصائص – ابن جني – دار الهدى للطباعة.

١١- خزانة الأدب – البغدادي.

١٢- المذكر والمؤنث – أبو بكر الأنباري.

١٣- المزهر للسيوطي.

١٤- زهر الآداب للحصري.

١٥- شرح الألفية لابن الناظم.

١٦- شرح الأردبيلي للأنموذج – مكتبة الآداب – القاهرة.

١٧- شرح الأشموني – ط البابي الحلبي – مصر.

١٨- شرح المفصل لابن يعيش.

١٩- شرح عمدة الحافظ لابن مالك.

٢٠- تصريف الأسماء – الطنطاوي.

٢١- صناعة الكتابة وفن التعبير د. طلال علامة.

٢٢- الطبري – تاريخ – دار المعرفة بمصر.

٢٣- المعجم الأساسي.

٢٤- المعجم الوسيط.

٢٥- تعليق الأستاذ عبد الخالق عضيمة علي المقتضب.

٢٦- معجم الأدوات النحوية / عبد الغني الدقر.

٢٧- التعريفات للجرجاني.

٢٨- المعجم المفصل.

٢٩- مغني اللبيب لابن هشام.

٣٠- المخلاة للعاملي – دار المعرفة بيروت.

٣١- تفسير الجلالين – السيوطي والمحلي.

٣٢- تفسير القرآن الكريم – مختصر القاسمي – دار النفائس.

٣٣- المفصل في علم العربية للزمخشري.

٣٤- الفصول الخمسون لابن معطى.

٣٥- أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد – سعيد الشرتوني.

٣٦- الكليات – الكفوي.

٣٧- اللسان (معجم) ابن منظور.

٣٨- لغويات – عبد اللطيف الخطيب.

٣٩- مبادئ العربية – رشيد الشرتوني.

٤٠- النحو الوافي – عباس حسن.

٤١- المنجد في اللغة (معجم).

٤٢- الهمع للسيوطي.

٤٣- الوافي (معجم) عبد الله البستاني.